قبائل الأشراف ذوي حسن وموقفها من الثورة العربية الكبرى (1916–1918) من خلال نشرات المكتب العربي البريطانية

دراسة تحليلية

جمع وإعداد: الشريف عبدالعزيز بن عبدالله آل عجلان القاسمي

2024/3/12

ملاحظة :

تركز هذه الدراسة على تحليل موقف قبائل الأشراف ذوي حسن من الثورة العربية الكبرى، مستندة فقط إلى النشرات العربية بأجزائها الثلاثة والصادرة عن المكتب العربي بالقاهرة في الفترة 1916-1920 خلال الحرب العالمية الأولى. وبسبب ضيق نطاق البحث، لم تتناول الدراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للقبيلة، ولم تُجري مقارنة تفصيلية. لذلك، يُعتبر هذا البحث مدخلاً تمهيديًا يحتاج إلى توسعة لاحقة.

المقدمة

تُعد قبيلة الأشراف ذوي حسن من أبرز القبائل التي استوطنت السهل الساحلي جنوب الحجاز، بين مناطق الليث ووادي دوقة، حيث تميزت بموقع استراتيجي أثرى دورها الاجتماعي والسياسي في المنطقة.

اما عن فترة الثورة العربية الكبرى (1916–1918) فقد تنوعت مواقف القبائل المحلية، بما في ذلك قبائل الأشراف ذوي حسن، تبعًا للظروف السياسية والاجتماعية المتغيرة.

تشكل الوثائق البريطانية الصادرة خلال الحرب العالمية الأولى، ولا سيما النشرة العربية التي أصدرتها الإدارة البريطانية، مصادر رئيسية لفهم طبيعة هذه المواقف والتفاعلات، إذ تقدم رؤية مباشرة لأحداث تلك المرحلة وتوثق مواقف القبائل المختلفة.

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل نصوص مختارة من النشرة العربية البريطانية المرتبطة بقبيلة الأشراف ذوي حسن، بهدف استكشاف طبيعة موقفها السياسي والاجتماعي، وفهم العوامل التي أثرت في اتخاذها مواقفها، سواء بالحياد أو الرفض أو الانحياز. كما تهدف الدراسة إلى إبراز دور القبيلة ضمن شبكة العلاقات والتوازنات الإقليمية التي شكلت مرحلة الثورة العربية الكبرى في جنوب الحجاز.

التمهيد: الموقع الجغرافي والمكانة القبلية لأشراف ذوي حسن

تحتل قبيلة الأشراف ذوي حسن موقعًا بارزًا في السهل الساحلي الممتد من شمال الليث وحتى شمال القنفذة جنوب الحجاز، حيث كانت تمثل قوة محلية مؤثرة تعكسها التقديرات البريطانية التي أشارت إلى أن عدد مقاتليها قد يصل إلى ثلاثة آلاف، مما يؤكد على وزنها العسكري والاجتماعي في المنطقة.

وتُعد قبيلة الأشراف ذوي حسن احد أهم قبائل ساحل تهامة الجنوبي وتتقاطع مع قبائل محلية اخرى مثل بني شعبة شمالًا، وزهران وبنو هلال شرقًا، وزبيد حرب جنوبًا. وقد وصفت الوثائق البريطانية الأشراف ذوي حسن بأنهم يتمتعون بطابع استقلالي واضح، حيث لم تخضع القبيلة لأي سلطة مركزية بوجه كامل، لا عثمانية ولا حجازية ولا إدريسية، ما منحهم قدرة فريدة على إدارة شؤونهم الداخلية والتحكم في مصيرهم.

وشكلت هذه المكانة الاستراتيجية والمستقلة للأشراف ذوي حسن عاملاً أساسياً في تفاعلهم مع الأحداث الكبرى التي شهدتها الجزيرة العربية في أوائل القرن العشرين. فبرغم محاولات الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين لضمهم إلى صفوفها، اتسم موقف القبيلة بالحياد، بل ورفض المشاركة أحيانًا، تجسيدًا لرغبتهم العميقة في الحفاظ على استقلاليتهم وسلطتهم المحلية في مواجهة أي سيطرة خارجية.

الفصل الأول

موقع وأهمية مدينة الليث والأشراف ذوي حسن في الوثائق البريطانية (1916–1917)

1. النص الأول

< النص الأصلي:

< "Lith (dense grass) is a poor town of from 1,500 to 2,000 inhabitants, about 80 miles due south of Mecca and 120 from Jiddah by the constant wind. The inhabitants reckon it four days journey to both places and the same to Taif. They are a colony of Hadharim (people of Hairanaut) from southern Arabia, not on the best of terms with the Dhawi Hasan Bedouin, by whom they are surrounded..."[1]

2. الترجمة

تقع مدينة الليث، التي تعني في اللغة "العشب الكثيف"، على الساحل الجنوبي للحجاز، ويقطنها حوالي 1500 إلى 2000 نسمة، وتقع على بعد نحو 80 ميلاً جنوب مكة و120 ميلاً من جدة وفقًا لاتجاه الرياح السائد. يقدّر السكان أن الرحلة إلى مكة وجدة تستغرق حوالي أربعة أيام مشيًا، وهو الوقت ذاته إلى الطائف.

يُقال إن سكان الليث هم مهاجرون من قبيلة الحضارم (أهل حضرموت) من جنوب الجزيرة العربية، وهم محاطون بقبيلة ذوي حسن الذين ليست العلاقات

[1] Arab Bulletin, No. 49, “Hejaz: Lith,” p. 288, 15 January 1917, FO 882/12, The National Archives (UK).

بينهم في أفضل حال. ويشتهر أهل هذه المنطقة بعادة مميزة وهي مص الأصابع أثناء الكلام، واستخدامهم كلمة "إلا" بمعنى "ربما" بدلاً من "أيوه" بمعنى "نعم"، مما يلفت انتباه الغرباء.

كان شيخ الحضارم يدعى " صالح بامحرم"، بينما كان شريف البلدة في أول زيارة لفريق المسح (يناير 1917) هو الأمير ناصر الذي تم استبداله لاحقًا أثناء غيابه بمكة بشخص يدعى "سلطان".

يقيم الشريف في الليث حامية محلية مكونة من 72 جنديًا، من بينهم عشرة إلى اثني عشر من بني عقيل من نجد، يتقاضون ستة جنيهات شهريًا ويأمنون جمالهم بأنفسهم، بينما يخدم باقي الجنود غالبًا مقابل الطعام أو أجور ضئيلة، وجميعهم مسلحون ببنادق إنجليزية حديثة.

أما المباني فهي فقيرة للغاية، من بيوت منخفضة الطراز أو أكواخ مخروطية من القش. المسجد ذو الطابقين هو المبنى الوحيد الذي يتعدى طابقًا واحدًا، وهناك عدد قليل من المحلات، من بينها محل لصياغة الفضة. الإمام (الفقيه) الذي كان مواليًا للأتراك، هو الوحيد المتعلم في المدينة.

تقع المدينة على فرشة وسط وادي الليث، الذي يكون جافًا باستثناء مواسم الأمطار، ويستمد سكان المدينة مياههم من بئر عميقة في الفرع الغربي للوادي، ويبدو أن الماء فيها لا ينضب.

يُشير وادي الليث إلى استمرارية وادي سلّرم، الذي يتكون من التقاء أودية غرة و السفار من الشمال والشرق، ويستمر في اتجاه جنوب حتى يصل إلى البحر على بعد نحو 300 ياردة شرق بستان النخيل في مرسى الرياضة.

يوجد شمال المدينة بستان كثيف من النخيل، وتزرع الأراضي إلى الشرق من المدينة محاصيل متعددة كالذرة والدخن، والبطيخ في شريط زراعي واسع يمتد على الأقل حتى خليج حسن الذي يصب في البحر عند مرسى الراكة."*

3. التحليل والتفسير

هذا النص يُقدم وصفًا تفصيليًا لمدينة الليث، والتي تقع ضمن نطاق قبيلة الأشراف ذوي حسن، مما يُبرز الأهمية الاستراتيجية للمدينة على الساحل الجنوبي للحجاز. المدينة تعكس حالة من الفقر النسبي، مع ضعف في البنية التحتية، وانعدام الخدمات التعليمية والثقافية إلا في نطاق ضيق (وجود فقيه وقارئ واحد فقط).

يشير النص إلى وجود حضور عسكري لشريف مكة لكنه محدود ويعتمد على جنود من نجد، مما يعكس محاولات الشريف حسين لتعزيز سلطته في هذه المنطقة الحيوية. كما يعكس النص وجود قبائل محلية ذات نفوذ، مثل الأشراف ذوي حسن، الذين ليسوا في حالة وفاق مع الحضارم المستوطنين في المدينة.
من الناحية الجغرافية، يوضح النص أهمية وادي الليث كمصدر رئيسي للمياه في منطقة صحراوية جافة، ويؤكد الموقع المتميز للمدينة على جزيرة وادي الليث، بالإضافة إلى الثروات الزراعية المحلية من نخيل وبذور محاصيل مختلفة.

4. خلاصة الفصل الأول

يُظهر النص الأول أن مدينة الليث، الواقعة في قلب منطقة الأشراف ذوي حسن، كانت منطقة ذات أهمية استراتيجية لكنها فقيرة من الناحية التنموية. وجود قوات حجازية محدودة فيها، وعلاقات متوترة بين القبائل المختلفة، تشير إلى تعقيد المشهد السياسي والاجتماعي الذي سيُستعرض في الفصول اللاحقة.

.

الفصل الثاني

قبيلة الأشراف ذوي حسن: الفروع، العدد، والموقف السياسي في الوثائق البريطانية

1.النص الأصلي

Dimwi Hasan, a tribe of Sherifial descent, inhabit the" < coast from just north of Lith to a point near Jelajil. According to Mohammed Hujeir... the sub-sections with their chiefs are as follows: El Asal, El Khumjan, El Hasan ibn-Ahmed, El Jisas, El Sumdan, Na'ara, "...Hawadma, Beni Mehidi, Dhawi Aval

Their strength is about 3,460 men. Beni Mehidi and" Sumdan are the most likely to be met along the coast. South of the Dhawi Hasan are an independent offshoot called the Dhawi Barakat, chief Abd el Aziz ibn Qasi, "...numbering about 650 men

The whole of the Dhawi Hasan and Dhawi Barakat" would make common cause against the Sherif of Mecca if need be. At the present time, their sentiment seems to favor acquiescence in the Sherif's rule as the weakest form of government obtainable, preferable to domination [2]"...by Turks or Idrisi

[2] This text is based on the British Arab Office bulletins, Part One, 1917, p. 547.

2. الترجمة

تنحدر قبيلة ذوي حسن من نسب شريف، وتقطن الساحل الممتد من شمال الليث حتى نقطة قريبة من جلاجل. حسب محمد حجير، وهو قريب شيخ بني مهدي، تتفرع القبيلة إلى عدة أقسام يرأسها رؤساء، وهي: العساف، الخمجان، الحسن بن أحمد، ذوي جساس، الصمدان، النعرة، الحواتمة، آل مهدي، وذوي عياف.
يُقدر عدد مقاتلي القبيلة بحوالي 3460 رجلاً. وتعد فروع آل مهدي والصمدان الأكثر ظهورًا على الساحل. جنوب قبيلة ذوي حسن تقع فرع مستقل منهم يُدعى ذوي بركات، يرأسه عبد العزيز بن ابوالقاسم، ويبلغ عدد مقاتليه حوالي 650 رجلاً.
على الرغم من التناحر الداخلي بين الفروع، إلا أن الأشراف ذوي حسن وذوي بركات مستعدون للاتحاد ضد شريف مكة إذا تطلب الأمر ذلك. لكن في الوقت الراهن، يبدو أن مواقفهم تميل إلى قبول حكم الشريف باعتباره أضعف أشكال الحكومة المتاحة، ويفضلونه على السيطرة التركية أو الإدريسية.
وقد رفضوا المساهمة بالقوات في الحملة الشريفيّة ضد المدينة.

3. التحليل والتفسير

رغم ان النص لم يذكر كل فروع قبائل ذوي حسن مثل القواسمة والصعوب وآل محيي الدين الا ان هذا النص يُعطي تفصيلًا مهمًا لبنية قبيلة الأشراف ذوي حسن من حيث الفروع وعدد المقاتلين، ما يعكس حجم القبيلة وأهميتها العسكرية في تلك الفترة. كما يشير إلى الانقسامات الداخلية التي قد تؤثر على قدرتها على العمل الموحد، ولكنها تُظهر وحدة فعلية في مواجهة قوى خارجية مثل الشريف.
يتضح من النص كذلك أن القبيلة كانت تميل إلى الحياد في النزاع بين الشريف والعثمانيين والإدريسيين، مع ميل نسبي لقبول الأقل ضررًا وهو حكم الشريف حسين، رغم عدم مساهمتها الفعلية في الحملة العسكرية.
هذا يؤكد استقلالية قبيلة الأشراف ذوي حسن ورغبتها في الحفاظ على مصالحها المحلية فوق الولاءات السياسية الأوسع.

4. خلاصة الفصل الثاني

قدّم النص الثاني صورة شبه مفصلة ولابأس بها عن قبائل الأشراف ذوي حسن من حيث التركيب القبلي، العدد، والموقف السياسي، مؤكداً على استقلالية القبيلة، وحدود التعاون مع الشريف، ورفضهم المساهمة في حروبه

الفصل الثالث

مواقف الأشراف ذوي حسن في الثورة العربية الكبرى والصراعات الإقليمية

1. النص الثالث

> النص الأصلي (مقتطف):

The Dhawi Hasan Ashraf have made secret overtures" to the Turks, offering their allegiance. Possibly the Dhuwi Hasan Ashraf are meant. The latter are a powerful, piratical tribe, mustering some three thousand or more fighting men... They have always been intolerant of control, whether Turkish or Sherifian, and if the above news is true, it may be assumed that the have not been influenced by any feelings of loyalty to the ".[3]Turks

[3] .This text is based on the British Arab Office bulletins, Part One, 1917, p. 547

A. النص الرابع

< النص الأصلي (مقتطف):

"Sherif Pasha, the Commander of the Sherifian expedition to Dauqa, endeavoured to conscript the Dhawi Hasan in the recent fighting with the Turks; but they refused to send a single man, and disowned any allegiance to the King. In consequence of this, the King has closed the Hejaz markets to them. The Dhawi Hasan have replied by looting caravans coming from, or going to, the Hejaz, and holding up and levying toll on all Hejaz dhows returning from the Asir coast."[4]

2. الترجمة

تشير الوثائق إلى أن قبيلة الاشراف ذوي حسن، التي تقدر قوتها العسكرية بحوالي ثلاثة آلاف مقاتل، كانت تُعرف بأنها قبيلة قوية ومتمردة، لا تقبل السيطرة من أي طرف، سواء من العثمانيين أو شريف مكة.

ورد في النشرة العربية إشارات إلى محاولات سرية من قبيلة الأشراف ذوي حسن لعرض ولائهم للأتراك، وهو ما قد يُفسر على أنه محاولة للحفاظ على مصالحهم أو مواقف استراتيجية. ومع ذلك، كان من الواضح أنهم لا يتحلون بولاء حقيقي لأي من الطرفين.

في مواجهة دعوات الشريف باشا، قائد الحملة الشريفية إلى دوقة، لتجنيد مقاتلين من الأشراف ذوي حسن، رفضت القبيلة إرسال أي مقاتل وأعلنت براءتها من الولاء للشريف حسين. رد الشريف على ذلك بإغلاق أسواق الحجاز أمامهم، لكن ذوي حسن ردوا على هذا الإجراء بشن هجمات على القوافل التي تمر من وإلى الحجاز، وفرض رسوم على المراكب التي تعود من ساحل عسير.

[4] Source: Arab Bureau Reports, Part Two, 1917, p. 272.

3. التحليل والتفسير

توضح هذه الوثائق بشكل جلي موقف قبيلة الأشراف ذوي حسن من الصراع الدائر في الجزيرة العربية خلال الثورة العربية الكبرى. إذ أنهم اتخذوا موقفًا مستقلاً لا ينحاز إلى الطرف الشريف ولا العثماني، بل حافظوا على مصالحهم المحلية وسيطرتهم على مناطقهم.

يُظهر رفضهم المشاركة في القتال إلى جانب الشريف واستعدادهم لمهاجمة القوافل التجارية نوعًا من العصيان الاقتصادي والسياسي، ورفضًا لأي سلطة خارجية تهدد استقلالهم.

كما يعكس هذا الوضع تعقيد المشهد القبلي في الحجاز، حيث تتداخل الولاءات المحلية مع المصالح الإقليمية الكبرى، ولا يمكن فهم الأحداث بدون النظر إلى هذه التفاعلات.

4. خلاصة الفصل الثالث

كانت قبائل الأشراف ذوي حسن في مركز الصراعات الإقليمية خلال الثورة العربية الكبرى، حيث اتسم موقفها بالاستقلالية والتمرد، رافضة الانحياز لأي طرف من الأطراف المتصارعة، محافظين على سيطرتهم الإقليمية ومصالحهم التجارية والسياسية.

الفصل الرابع

التفاعلات السياسية والعسكرية للأشراف ذوي حسن مع الشريف والسلطات الإقليمية

1. النص الخامس

> النص الأصلي (مقتطف):

"Sheikh Abdel Aziz ibn Qasi of the Dhawi Barakat took an active part in destroying marks."[5]

A. النص السادس

> النص الأصلي (مقتطف):

"The Dhawi Hasan have refused to send a single man, and disowned any allegiance to the King. In consequence, the King has closed the Hejaz markets to them. The Dhawi Hasan have replied by looting caravans coming from, or going to, the Hejaz, and holding up and levying toll on all Hejaz dhows returning from the Asir coast."[6]

[5] Source: Arab Bureau Reports, Part Two, 1917, p. 318.

[6] Source: Arab Bureau Reports, Part Two, 1917, p. 319.

2. الترجمة

لعب الشيخ الشريف عبد العزيز بن أبو القاسم، رئيس قبيلة الأشراف ذوي بركات، دورًا بارزًا في العمليات العسكرية التي استهدفت تدمير الأهداف المحددة خلال الصراعات الإقليمية، وكانت مشاركته في تلك الحملة واضحة وفعالة.
في المقابل، رفضت قبيلة الأشراف ذوي حسن الانضمام إلى حملة المدينة التي دعا إليها الشريف حسين، وامتنعت عن إرسال أي مقاتلين لدعم تلك العمليات.
وقد أعلنوا انفصالهم عن الولاء الملكي، ورفضهم التبعية لأي من الطرفين المتحاربين.

يُظهر أبناء الأشراف ذوي حسن اعتزازًا شديدًا بنسبهم، ويعتمدون عليه في فرض احترامهم وهيبتهم بين القبائل المجاورة. وتُستخدم مكانتهم النسبية كوسيلة لردع الآخرين ضمن نظام معروف في الحجاز، يقوم على التخويف والهيبة، دون الحاجة إلى تدخل عسكري مباشر.

3. التحليل والتفسير

تشير هذه الأحداث إلى وجود خلاف عميق بين الأشراف ذوي حسن والسلطات الشريفة، ورفضهم للتبعية السياسية والسيطرة المركزية، مما دفعهم إلى اتخاذ خطوات احتجاجية وعمليات تأديبية ضد حركة التجارة الحجازية.
يُظهر دور الشيخ الشريف عبد العزيز بن ابو القاسم أهمية قيادة الفروع داخل القبيلة في إدارة شؤونها السياسية والعسكرية، وتأثيرهم في الموقف العام للقبيلة.
هذه التوترات تعبّر عن ديناميكية الصراع في الحجاز، حيث تتداخل المصالح القبلية والمحلية مع الطموحات الإقليمية للشريف حسين والدولة العثمانية.

4. خلاصة الفصل الرابع

تُبرز الوثائق الأدوار الفاعلة للأشراف ذوي حسن في النزاعات الإقليمية، من خلال رفض الولاء والتصدي للسيطرة الشريفة، والتأثير على التجارة في الحجاز، مما يعكس درجة استقلالية القبيلة وتمسكها بمصالحها.

الخاتمة

تُبرز هذه الدراسة أهمية قبيلة الأشراف ذوي حسن وموقع مدينة الليث ضمن السياق الجغرافي والسياسي للحجاز في أوائل القرن العشرين، كما عُرضت من خلال الوثائق البريطانية التي تغطي الفترة ما بين 1916 و1918.
توضح المصادر أن مدينة الليث كانت مدينة فقيرة نسبيًا، تقع على جزيرة في وادي الليث، وتعيش ضمن بيئة صحراوية جافة تعتمد على موارد محدودة، مع وجود قبائل متفرقة في مثل الحضارم ووفي محيطها الأشراف ذوي حسن.
وكانت علاقات القبائل متشابكة ومعقدة، تتسم أحيانًا بالتوتر والصراع على النفوذ.

أما قبيلة الأشراف ذوي حسن، فقد اتسمت باستقلالية واضحة ورفضت الخضوع للسلطات سواء كانت من قوات مملكة الحجاز أو العثمانية أو الإدريسية، ما جعلها فاعلًا رئيسيًا في الصراعات الإقليمية، متخذة مواقف مقاومة سياسية

وعسكرية للحفاظ على سيطرتها المحلية. هذا الرفض تبلور في عدم مساهمتها في الحملات الشريفية، ورد فعلها على الإجراءات الملكية بمحاربة القوافل وفرض رسوم على المراكب.
تدل هذه الوقائع على أن بعض القبائل الهاشمية في الحجاز لم تكن مجرد فاعل هامشي في تاريخ المنطقة، بل كانت عوامل مؤثرة ومعقدة، تتحكم في توازن القوى المحلي والإقليمي.

ومن هنا، تأتي أهمية دراسة هذه القبائل عبر المصادر التاريخية الأجنبية التي توثق مواقفها وأوضاعها، مما يثري فهمنا للتاريخ السياسي والاجتماعي في الجزيرة العربية في فترة مفصلية.
أخيرًا، يجدر بالباحثين الاهتمام بجمع هذه النصوص وتحليلها بعمق، لأن ذلك يساهم في إعادة بناء صورة دقيقة وشاملة عن الحجاز وأشرافه وقبائله، بعيدًا عن الرؤية السطحية أو الأحادية، مع مراعاة السياقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تحكم تلك الحقبة.

انتهى ولله الحمد والمنة